

تجارة الخيول في الموصل في القرن التاسع عشر

م. عامر بلو إسماعيل*

تاريخ قبول النشر

٢٠١٨/١١/١٨

تاريخ استلام البحث

٢٠١٨/٩/٢٦

ملخص البحث:

عُدت الموصل في القرن التاسع عشر من اكبر مُصدّري الخيول العربية الأصيلة إلى الهند البريطانية، لما تمتاز به خيولها من جمالٍ ورشاقةٍ وسرعةٍ في الجري وقوةٍ في التحمل وغيرها من المميزات، وهذا ما دفع الكثير من أهالي الموصل لا سيما البدو إلى الاهتمام الجاد بتربية الخيول، وظهور فئة من التجار تخصصت في بيع وشراء الخيول من الموصل وتوابعها الإدارية ومناطق العراق الأخرى، ومن ثم يقومون بتصدير الخيول إلى الهند وتحقيق أرباح هائلة، وقد قُسم البحث إلى محورين: يهتم الأول منهما بأماكن تربية الخيول في الموصل والمناطق المجاورة لها، ومستلزمات تربيتها، ومشاركاتها في النشاطات الرياضية، أما المحور الثاني فيتتبع تجارة الخيول من الموصل إلى الهند.

Trade in Horses in Mosul in the 19th Century

Amer Bello Ismail (a lecturer at Mosul Studies Center)

Abstract:

In the 19th century, Mosul became one of the largest exporters of pure Arabian horses to British India. Its horses are characterized by beauty, agility, speed of running, endurance and other characteristics. This has led many people of Mosul, especially nomads, to take serious interest in horse breeding, a group of traders specialized in the sale and purchase of horses from Mosul, its adjoining areas, and other parts of Iraq, and then they export them to India and make huge profits. The research divided into two

* مدرس ، مركز دراسات الموصل، جامعة الموصل.

تجارة الخيول في الموصل في القرن التاسع عشر

axes: The first one is concerned with horses breeding places in Mosul and adjacent areas, and horses participation in sports activities, while the second axis follows up horse trade from Mosul to India.

المقدمة:

نتيجة لما امتازت به الموصل في القرن التاسع عشر من تربة خصبة، ووجود نهر دجلة وكمية تساقط أمطار مناسبة، فقد نشطت الحركة الزراعية نسبياً وكبرت مساحات الاراضي المخصصة للرعي، وبالتالي اشتهرت الموصل بكثرة صادراتها إلى المناطق المجاورة وإلى الكثير من الدول الأجنبية كأمريكا وبريطانيا وفرنسا والهند وإيران وغيرها كثير، وتنوعت نوعية الصادرات بين الحاصلات الزراعية كالحبوب المتمثلة بالحنطة والشعير والسمسم، والحاصلات التي تدخل في الصناعات كجوزة العفص والقطن. كما أسهمت الموصل في تجارة الحيوانات الحية، لا سيما إلى الدول الأجنبية، إذ كانت لها الأهمية في توفير أسباب الرزق للكثير من السكان كتجارة الأبقار والأغنام والبغال والحمير والخيول وغيرها، وبرزت تجارة أخرى مرتبطة بالمنتجات الحيوانية والتي تدخل في الكثير من الصناعات المهمة كالجلود والصوف وشعر الماعز والوبر، والمنتجات المصنوعة من هذه المواد كالمصنوعات الجلدية والمنسوجات وغيرها. ونتيجةً للدور البارز لتجارة الخيول في إنعاش اقتصاد الموصل ورفع المستوى المعاشي للسكان وتنشيط الحركة التجارية في القرن التاسع عشر، جاء هذا البحث ليلقي الضوء على ظروف تربية الخيول، وعلى تجارة الخيول في الموصل في القرن التاسع عشر.

أولاً: تربية الخيول في الموصل ومناطق العراق الأخرى: (أماكن تربيتها، مستلزماته، سباقاتها)

تُرى في العراق أجود أنواع الخيول في العالم^(١)، كونها تمتاز بالقوة والرشاقة والجمال وهذا ما جعلها موضع إعجابٍ وإعجابٍ، حتى قيل أنها (ملكة سلالة الخيول) بأسرها^(٢) ونتيجة لمميزاتها هذه فقد حافظ العراقيون على سلالتها منذ أقدم العصور إلى الوقت الحاضر، وساهمت العشائر العربية في ولاية الموصل بدورٍ كبيرٍ في تربية الخيول والمتاجرة بها لا سيما شمّر (الصايح والعبيد وطي (وسنسب التي هي أحد أفخاذ عشيرة طي)^(٣)، إلا أنه كان هنالك عشيرتين كبيرتين تصدرتا تربية الخيول وهما شمّر وعزة، فعشائر شمّر شغلت مناطق بلاد ما بين النهرين منذ القرن السابع عشر عندما قادمهم الشيخ فارس من نجدٍ إلى هناك^(٤)، وفي القرن التاسع عشر سكنوا مناطق واسعة

م. عامر بلو اسماعيل

من العراق فنجد مثلاً أن إبني صفوك العجيل تقاسما مراعي الجزيرة فيما بينهما، فأخذ أحدهم أخذ المناطق المحيطة ببغداد وأخذ الآخر الصحاري الملاصقة للموصل^(٥)، وعلى الرغم من أنهما قد كان لهما باعٌ طويلٌ في تربية الخيول، إلا أنهما لم يتمكنوا من منافسة عنزة الغنية التي تتجول وتسيطر على مراعي كبيرة وتمتلك آبار ماء غرب نهر الفرات وجنوباً إلى نجد، لأن عنزة تُعد مركزاً رئيساً للحصان العربي الأصيل^(٦)، وكانت قبائل عنزة تهتم بتدريب الخيول أكثر من بقية العشائر الأخرى في المنطقة^(٧)، وعمل البعض من أفراد عشيرة عنزة مُربين للخيول، ثم تحولوا في نهاية المطاف إلى تربية الخيول لأغراضٍ تجاريةٍ صرفةٍ غايتهم منها تزويد المشتريين من سكان المدينة بالخيول وتحقيق الأرباح ليس إلا^(٨).

كما استفاد تجار الموصل من تجارة الخيول في مناطق العراق الأخرى، إذ كانت بعض الخيول الجيدة تُربى في المنطقة المجاورة لمدينتي الحلة والديوانية بالعراق، وكذلك الخيول التي تملكها قبيلة بني لام القاطنة في المنطقة الواقعة إلى الشرق من نهر دجلة، هذا وتوجد بعض خيول الركوب في بغداد^(٩).

ونتيجة لاهتمام أهل الموصل بالخيول فقد صنعوا لها السروج الفاخرة وفُتحو لها سوقاً خاصاً يسمى (سوق السراجين)، ويقع ذلك السوق بجوار جامع الباشا، ويتألف من عدة دكاكين، تصنع فيها السروج الجميلة من الجلد، وبعض السروج تُكسى بجلود النمر والثعالب الثمينة، أو بأقمشة ثمينة ويزينون ما حولها، وقد يصل سعر السرج الواحد منها إلى عدة ليراتٍ من الذهب^(١٠)، وكان السوق يعتمد في الحصول على المواد الأولية الداخلة في صناعة السروج على المناطق المحيطة بالمدينة، كما وتُعد هذه المناطق أسواقاً لتصريف منتجاته^(١١).

كما تميز بعض حدادي الموصل بصناعة حدوات الخيول والمسامير اللازمة لتثبيتها للاستهلاك المحلي، وأعجب كثيرٌ من السياح الأجانب بجودتها، وكانت حدوات خيول الجيش التركي في الموصل ومسامير تثبيتها تُرسل بصورةٍ دوريةٍ من استانبول إلى الموصل^(١٢)، وتضاعف عدد الحدادين في الموصل بين عامي ١٨٤٦-١٨٤٩ واهتم أكثر من نصفهم بصناعات الحدوات والسلاسل والمسامير والقيود الخاصة بالخيول^(١٣)، وأوردت الرحالة إم. إي. هيوم-غريفث (M. E. Hume-Griffith) التي زارت الموصل برفقة زوجها للمدة (١٩٠٤-١٩٠٨) قصة تبيين فيها أن

تجارة الخيول في الموصل في القرن التاسع عشر

أهل الموصل لا يثبتون الحدوات على أسفل حوافر خيولهم إذ تقول: "وكقاعدة عامة سكان الموصل لا يثبتون حدواتٍ على حوافر خيولهم مطلقاً...، ففي يومٍ من الأيام كان هناك رجلين من مخيم قريب من الموصل يمشيان، فصادف أن وجدا شيئاً ما على الطريق جذب انتباههما، فرفعا هذا الشيء من الأرض وتفحصاه جيداً وقلباه مراراً وتكراراً، إلا إنهما لم يصلا إلى نتيجةٍ مُرضيةٍ"، وأوضحت أن ذلك الشيء هو حدوة حصان، لكن بسبب كون كليهما لم يشاهداه من قبل لم يستطعا التكهّن بماهيته، وبعد نقاش، قال احدهم للآخر "بالتأكيد إنني اعرف ماهيته، إنه قمرٌ قديمٌ سقط من السماء!"^(١٤)، وهذه الرواية إن دلت على شيءٍ فإنما تدل على قلة استخدام الحدوات وليس انعدام وجودها بدليل عثور هذين الرجلين على واحدة منها في الموصل.

ولشغف أهل الموصل بالخيول وتباهيهم بها وبأصالتها اهتم البعض منهم برياضة سباق الخيول، وهو أمرٌ مألوفٌ لديهم، وكانت تلك السباقات تُقام خارج أسوار المدينة، وكانت حلبة السباق عبارة عن أرضٍ طويلةٍ ومستويةٍ وغير مزروعةٍ تقع قرب إحدى بوابات المدينة، في منطقة الرض الأعلى أو جنوب المدينة وتسمى (أرض المنطرد) ويحق لكل من لديه حصان أن يشارك في هذا السباق، حتى أن التجار الذين لديهم خيول للبيع كان بإمكانهم المشاركة في تلك السباقات كدعاية وإعلانات لخيولهم التي إن فازت في تلك السباقات يزيد الطلب عليها وتجنّي أرباحاً كبيرةً للتاجر الذي يمتلكها، وكانت تلك السباقات تُقام مساء كل يوم خميس ويحضر لمشاهدتها حشدٌ كبيرٌ من أبناء الموصل من هواة تلك السباقات، ليتابعوا أداء المتسابقين والتسلي، وتحرم في هذه السباقات المراهنة على الحصان الفائز^(١٥)، وتلك السباقات حظيت باهتمام السلطات إذ كانت توزع الهدايا النقدية على الفائزين^(١٦)، كما أن الكثير من الخيول العربية الفائزة في سباقات الخيول التي أقيمت في مضامير أو حلبات سباق الخيل الهندية قد تم شرائها كمهورٍ صغيرةٍ من مضارب شمّر قرب الموصل^(١٧).

ثانياً: تجارة الخيول في الموصل:-

لم تكن الموصل في القرن التاسع عشر مجرد منطقة لتربية الخيول العربية الأصيلة فقط، بل أصبح تجارها آنذاك يجوبون أنحاء العراق والحدود السورية الجنوبية لجلب الخيول الممتازة لغرض تصديرها إلى الخارج^(١٨)، وبرزت بعض الأسر في تجارة الخيول منها أسرة آل طالب^(١٩) التي

م. عامر بلو اسماعيل

استوطنت محلة باب النبي ثم انتقلت إلى محلة عبدو خوب، وهم من نسل الحاج طالب بن ذنون بن طالب، الذي يقال انه قد رافق رجل من البصرة إلى مدينة بومبي الهندية، وكان يجهز حكومة الهند بالخيول بواقع (٥٠٠) حصان سنوياً، كما افتتح في الهند مركزاً تجارياً عراقياً كان مقراً للعراقيين والعرب المسافرين للهند حتى توفي سنة ١٩٠٨،^(٢٠) ومنهم أيضاً جار الله الطالب الذي اتخذ مع عدد من أقربائه من بومباي مقراً لممارسة تجارة الخيول وتابع فيها حركتها التجارية أواخر القرن التاسع عشر^(٢١)، وعبد اللطيف الطالب بقى في الهند وتزوج من ابنة مهراجا وتوفي سنة ١٩٥٦،^(٢٢) وكذلك حاج علي بن طالب الذي كان يملك الكثير من الإسطبلات لإيواء الخيول المجهزة للتصدير، ونتيجة لشهرة عائلة الطالب الكبيرة في ميدان تجارة الخيول زار الرحالة ديفد فريزر (David Fraser) بيت حاج علي بن طالب في سنة ١٩٠٩ للاطلاع على خيوله، وعن تلك الزيارة قال الرحالة: "كان حاج علي غائباً، ولكن ابنه استقبلني بحفاوة...، وقد عبرت له عن رغبتني في مشاهدة الخيول والتقاط صورٍ قليلةٍ لها، وكنت متأكداً أن المكان كأنما مكاني أعمل فيه ما أشاء، وقد تفحصت حوالي خمسون حصان، كلها كانت في حالةٍ صحيةٍ جيدةٍ...، على الرغم من سفرها ومغادرتها الدائمة من مواطنها الأصلية في الصحراء...، وإني سررت بمشاهدة الإسطبل الذي كان مرتباً ونظيفاً مثل ترتيب ونظافة إسطبلات الهند...، وعندما تقدمت لألتقط الصور، قيل لي لا يمكنك التقاط الصور لها وهي تقف في طابور، وقد يكون ذلك لأن العربي دائماً يُخفي حيوانه عن الأنظار [ربما خشية الحسد]، ولا يقدمونها للمشاهدة إلا بتقديم إغراء كبير، فالطعم الذي قدمته كان الوعد بنشر هذه الصور في كتاب يقرأ في جميع أنحاء العالم، وأن تُصبح الخيول مشهورة قبل أن تغادر مكانها الحالي [أي من الموصل إلى الهند]، وكان العربي يفهم استخدام الإعلان، ويحتاج إلى أي شيء يؤدي إلى جذب الأموال إلى جيبه، فجلبوا لي مُهرين جميلين من داخل الفناء، فالتقطت لهما صورة في وضعية ليست ناجحة جداً، إنها مخلوقات لطيفة، ومن الجيد تصديرها إلى الهند...، والسيد طالب يتوقع الحصول على الكثير من الروبيات، التي ستكون ضروريةً لاستئجار سفينة لتصدير الخيول إلى الهند"، كما تكلم فريزر عن دخوله في مجادلات عن خيول الحاج علي قائلاً: "وعندما انزويينا خلف بيتٍ شامخ، وأعطوني الصدارة في مجلسٍ من العرب البارزين...، وكانت هناك خيول تمشي وتهول وتخبو أمامهم بينما هم جالسين،

تجارة الخيول في الموصل في القرن التاسع عشر

هذه الخيول جُلبت للبيع للتاجر الشهير، وكان رأيي هو أن أسأل عن عددٍ من الخيول التي تم عرضها، وقلت إنني لا أرغب في عرقوب إحداها وكتف الآخر ووجدت الثالث رشيماً جداً تحت الركبة، وقد رحبوا بكلامي لأنه دليل على دراستي المعمقة عن تربية الخيول"، ثم أضاف قائلاً: "شرينا القهوة وبدأنا بتدخين السجائر وتناقشنا حول الخيول حتى كُسر ظهري الضعيف بالكامل، وعندما سألتُ ابن حاج علي سؤالاً، وهو هل تتذكر حيواناً معيناً جلبه والدك إلى الهند قبل أربعة عشر سنة مضت؟، فكر ابن الحاج علي بالأمر ملياً بالاسم لدقيقةٍ أو دقيقتين، ومن ثم لبهجتي، أجبته بحماسة الحصان الرمادي المبقع!"^(٢٣).

ومن الطبيعي أن يوجد في الموصل سوقاً خاصاً بتجارة الخيول ويسمى (سوق الخيل) إلا إن الإشارات التاريخية قليلة عنه، سوى ما ذكره الرحالة جي. سي. بكنغهام (J. S. Buckingham) الذي زار الموصل سنة ١٨٢٧ عندما قال: "عندما وصلنا الضفة المقابلة من النهر، دخلنا الموصل للمرة الثانية ومررنا من خلال سوق الخيول"^(٢٤). علماً أن الباحث لم يعثر على أي معلومات دقيقة تتعلق بمكان وجود هذا السوق.

وبسبب ارتفاع أسعار الخيول في الموصل، فقد كان تجار الموصل يجمعون في كل سنة من ألفين إلى ثلاثة آلاف حصان من ولاية الموصل وتوابعها، ثم يُرسلونها إلى الخارج لا سيما إلى الهند، وهناك يمكن أن تباع خيول الموصل بأسعارٍ أعلى من أسعار الموصل بعدة مرات، وبعد الزيادة الكبيرة في الطلب على الخيول شكَّلت الحكومة لجنةً من الخبراء لدراسة هذه القضية وتداعياتها^(٢٥).

ونتيجةً للأرباح الهائلة التي يجنيها تجار الخيول الموصليين من بيع الخيول إلى الهند، زاد الإقبال على تصدير الخيول الأصلية منها، وأخذ التجار يجوبون البلاد لجمع الخيول وتصديرها^(٢٦)، فتوجهوا إلى بغداد والمناطق المجاورة لها لشراء الخيول العربية الأصيلة لرخص ثمنها هناك إلى حدٍ كبيرٍ، فالحصان العربي الذي يُشترى من بغداد بـ (١٠) أو (١٢) باون^(٢٧)، يُباع في بومباي بستين باون^(٢٨)، ولا توجد إحصائيات عن عدد الخيول التي كانت تُصدر من الموصل إلى الهند، لكن الصادرات الإجمالية للخيول العراقية عبر البصرة كانت حوالي ٢٥٠٠ حصان بالسنة معظمها للموصل^(٢٩).

م. عامر بلو اسماعيل

ومن بين الأمثلة التي تُذكر عن اهتمام العالم آنذاك بخيول الموصل قيام مندوب ملكة اسبانيا في سنة ١٨٥٠ بشراء خيول مكونة من اثنا عشر حصاناً أصيلاً، كان سعر أفضلها (١٥٠) جنيه إسترليني، وقد أودعها في إسطنبول يعود لكرستيان رسام (١٨٠٨-١٨٧٢)^(٣٠)، وتميزت تلك الخيول بجمالهن وطولهن ورؤوسهن النحيفة وأعينهن البراقة وأجسامهن الرشيقة وحوافهن الصغيرة^(٣١)، كما أن النبيل الايطالي سكتور بي (Signor P.) عندما جاء في سنة ١٨٨٨ إلى بلاد ما بين النهرين مرَّ بالموصل لشراء قطيع من الخيول العربية الأصيلة للإمبراطور الفرنسي نابليون الثالث (١٠ كانون الأول ١٨٤٨ - ٢ كانون الأول ١٨٥١)^(٣٢).

أما الرحالة أي. لوكر (A. Locher) الذي زار الموصل سنة ١٨٨٨ فقد اشترى حصاناً منها قال عنه: "حصان كستنائي اللون يعود لتاجر الخيول في الموصل، امتطيته وتجولت على ظهره في نينوى، وثبت لي أنه حصانٌ لا يتعب، ومن الجميل انه أصبح مُكافئاً لي في ذلك الصباح، وكان لي الشرف انه نقلني من الموصل إلى الشواطئ اللطيفة للبحر المتوسط لمسافة حوالي خمسمائة وخمسة عشر ميل، ذلك العمل البطولي جلب رضائي عنه"^(٣٣).

وتجدر الإشارة إلى أن الرحالة كريفث ذكرت أن تجار الخيول كانوا أيضاً يُصدرون القطط على نطاق واسع إلى الهند وأماكن أخرى، حيث تؤخذ إلى الساحل من قبل تجار الخيول ويربطونها مثلما يربطون خيولهم^(٣٤). بيد أن روايتها هذه لم تؤكد المصادرات التاريخية التي أرخت للنشاط التجاري لولاية الموصل للمدة قيد البحث مما يقلل من أهميتها.

وخلال عملية نقل الخيول من الموصل إلى الهند تمر عملية النقل عبر الطرق الآتية:-

- ١- **الموصل- بغداد:** إذ تسير الخيول من الموصل في قطعان متوجهة إلى بغداد وتستغرق الرحلة اثنا عشر يوماً تقريباً^(٣٥).
- ٢- **بغداد- البصرة:** تُشحن الخيول من بغداد على متن باوخر تابعة لشركة لنج البريطانية^(٣٦) إلى البصرة^(٣٧).

- ٣- **البصرة- بومباي:** كان أكثر استيراد حكومة الهند البريطانية من البصرة خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر يذهب للتسلية (في سباقات الخيول الترفيهية) أو لتجهيز سلاح الفرسان في الجيش البريطاني^(٣٨)، كما أن أفضل سوق لتصدير الخيول إلى الهند هو البصرة، حيث تجلب إليها

تجارة الخيول في الموصل في القرن التاسع عشر

عادةً المئات من الخيول^(٣٩) القادمة من الموصل و بغداد وتكريت^(٤٠)، لكي تُنقل إلى المستعمرات البريطانية في الهند، وكان سعر البيع للجواد العربي الأصيل في سوق الخيول في البصرة هو حوالي مئة باون^(٤١).

ومن البصرة يُعاد شحن الخيول بواسطة قوارب الخليج العربي^(٤٢) أو على متن بواخر مستعمرة الهند البريطانية المتوجهة إلى مدينتيّ بومباي ومانغور الواقعة في جنوب الهند، لكي تباع هناك على الرغم من أن عدداً قليلاً من تلك الخيول لا تُباع هناك لوجود عيوب فيها^(٤٣)، وتوضع الخيول على شكل طوابير على متن البواخر تُرصف واقفةً لعدة أيام جنب بعضها البعض خشية سقوطها، لا يُسمح لها بالجلوس خلال الطقس العاصف^(٤٤)، ويسيرُ مالكي الخيول ذهاباً وإياباً باستمرار لمراقبة الخيول التي ساء حظها وجلست في الطقس العاصف، وبعد وصول البواخر إلى بومباي تتدافع مجاميع الخيول وهي تنزل من الباخرة، وتكون أرجلها متورمةً بشكلٍ كبيرٍ بسبب الوقوف لفترةٍ طويلةٍ، والمشتريين في بومباي معتادين على منظر الأورام في الأقدام، ولا يعيرون لها أي أهمية، وبهذه الطريقة يُشحن أكثر من ثلاثة آلاف حصانٍ سنوياً من موانئ الخليج العربي معظمها من الموصل^(٤٥).

لم تكن الأوضاع في الموصل وحدها هي المؤثرة على تجارة الخيول، بل أن الأوضاع في الهند والدولة العثمانية كانت مؤثرة أيضاً، إذ لم يحقق التجار في كثيرٍ من السنوات أرباحاً لا سيما ما يتعلق بانتشار الأمراض التي تصيب الخيول في الهند، وشراء الحكومة العثمانية للخيول لأغراضٍ حربيةٍ^(٤٦).

وكان من المؤثرات أيضاً قيام تجار الخيول الإيرانيين بمنافسة تجار الموصل في مهنتهم، إذ كانوا يذهبون إلى بغداد وتكريت لشراء الخيول الموجودة بالجملة ومن ثم يُرسلونها عبر النهر إلى البصرة ويشحنونها هناك على متن بواخر مستعمرة الهند البريطانية إلى بومباي وهذا بلا شك ترك أثره على أرباح تجار الموصل^(٤٧).

وقد أدت تلك المؤثرات جميعاً إلى النكبة التي أصابت تجارة الخيول في الموصل في سنة ١٨٨٤ عندما فشل عدد كبير من الخيول التي نزلت في بومباي في نيل إعجاب المشتريين، وتم بيع القسم الآخر من الخيول بخسارةٍ كبيرةٍ تكبدها التجار بعد أن يُسوا من الحصول على أسعارٍ جيدةٍ، مما أدى إلى حدوث انخفاضٍ كبيرٍ في أسعار الخيول في الموصل^(٤٨).

ولما ازداد الطلب على الخيول العربية منعت الدولة العثمانية تصدير الخيول في سبعينيات القرن التاسع عشر وتكرر ذلك أيضاً في سنة ١٨٨٧ لحاجتها إلى الخيول للأغراض العسكرية^(٤٩)، وسرى ذلك المنع لسنواتٍ عديدةٍ، مما أدى إلى تنشيط أعمال التهريب، إذ كانت الخيول تُهْرَب من العراق عامةً والموصل على وجه التحديد إلى أسواق بلاد فارس، وتُجمَع في المحمرة بدلاً من البصرة، ثم تُصدَّر إلى الخارج، ويُقدَّر عدد الخيول التي هربت إلى الخارج في تلك السنة بحوالي (٢٥٠٠) رأس مقابل معدل متوسط (٢٠٠٠) رأس في العام الواحد من السنوات السابقة، وبعد دراسة السلطات العثمانية للموقف في سنة ١٨٨٨ أُلغِيَ قانون حظر تصدير الخيول من قبلها ولكن مُنِع تصدير إناث الخيل (الأفراس) منعاً باتاً^(٥٠)، وللحد من عمليات التهريب فرضت الدولة العثمانية غرامةً نقديةً قدرها خمسمائة قرش على الحصان المهرب^(٥١)، وأعلنت أنها ستقوم بمصادرة الخيول المُعدة للتهريب، وإنها ستعطي نصف ثمنها لمن يخبر عن ذلك، ويودع النصف الآخر لصندوق المال ويقيد إيراداً للدولة^(٥٢)، ومع هذا لم يعجز تجار الخيول في التغلب على هذه المشكلة، بأن أرسلوا خيولهم سَوْقاً على الضفة الشرقية لنهر دجلة إلى المحمرة، (الميناء الفارسي على الكارون)^(٥٣)، لتُشحن من هناك بالبواخر البريطانية الهندية تحت مرأى ومسمع المسؤولين العثمانيين^(٥٤).

كما حاولت الدولة العثمانية في سنة ١٨٩٩ اللجوء إلى طريقة أخرى للحد من عمليات تصدير الخيول إذ رفعت سقف رسوم التصدير إلى خمس ليرات عن الحصان الواحد، ومع ذلك بقيت أسعار الخيول منخفضةً حتى أواخر القرن التاسع عشر، لترتفع نسبياً في بداية القرن العشرين ولكنها كانت رخيصةً بالقياس إلى سوق بومباي^(٥٥).

وعن جدوى القيود التي تفرضها الدولة العثمانية يقول الرحالة كراتن كيري (Grattan Geary) الذي زار الموصل سنة ١٨٧٨: "لا أعلم كيف مَرَّ قرار المنع، لأنه حبرٌ على ورقٍ، كون الحدود الفارسية يمكن المرور عبرها بسهولة، والخيول المهربة يمكن أن تُشحن وبسهولةٍ بالغية على متن بواخر انكليزية في المحمرة، كما أنه على الجانب العربي لا يوجد أي عائقٍ أمام نقل أي عدد من الخيول إلى ميناء الكويت ومن هناك إلى الخليج لتجهيز الأسواق الهندية"، وعن التهريب يرى أن "بعض التهريب حدث ولكن ليس على نطاقٍ واسعٍ، فالخيول تُرسل إلى بومباي من الموانئ الفارسية"، ومن الصعب فهم كيف يمكن للسلطات العثمانية أن تتخيل مدى ضرورة منع التصدير وأهميتها في المحافظة على تجهيز الخيول للأسواق المحلية، ففي زمن الحرب يمكن أن يكون مثل

تجارة الخيول في الموصل في القرن التاسع عشر

هذا الإجراء مبرراً، ولكنه في وقت السلم يكون عملاً غيبياً ولا حاجة له، فالتجهيز بالخيول الجيدة يساوي الطلب عليها^(٥٦).

ثالثاً: ظهور الجمبازية^(٥٧) (ثجار الخيول) :-

في عام ١٨٨٩ وردت أنباءً من بغداد تقول بأن روح المضاربة التجارية التي تولدت هناك دعت المئات من عرب الموصل وبغداد والمناطق المجاورة لها بتبني مهنة ما يسمى بالجمبازية التي كانت تعني آنذاك تجارة الخيول، وأصبحت الأرباح قليلة نتيجةً لهذا، وفي ذلك الوقت تقاسمت البصرة والمحمرة والكويت شحن الخيول إلى الخارج^(٥٨)، ثم ظهرت لدى تجار بومباي رغبةً بالخيول العربية التي توجد عليها أثار أو علامات الربط فوق عرقوب احد القدمين أو كليهما، ولذلك نشط تجار الخيول الجمبازية في الموصل وبغداد بعمل هذه الآثار بشكلٍ اصطناعي بابتكارهم الذي يقوم على ربط شريط جديد من أمعاء الدواب (مصران) حول عرقوبي الحصان أو أحدهما، ويترك للمصران إلى أن يجف ثم يُرفع عن العرقوب تاركاً الأثر المطلوب، وفي أوقاتٍ معينةٍ من السنة عندما تكون فناءات الجمبازية ممثلةً بالخيول، يمكن للمرء أن يرى في الموصل وبغداد طوابيراً من الخيول التي تخضع لهذه العملية^(٥٩)، والباحث في الخيول العربية اللواء تي. تويدي (W. Tweedie) الذي شغل ولعدة سنوات منصب القنصل العام في بغداد والمقيم السياسي لحكومة الهند في القسم العربي من الدولة العثمانية، قام سنة ١٨٩٤ بتأليف كتاب تحت عنوان (الحصان العربي موطنه وشعبه) (The Arabian Horse His Country And People) أشار من خلاله إلى هذه الظاهرة قائلاً: "شاهدنا تاجراً موصلياً يستعمل عدسة مكبرة لمساعدته في مقارنة عرقوبي حصان كان يتفحصهما"، كما أشار إلى شائعاتٍ منتشرةٍ من الموصل إلى البصرة من أن عظم السبق (عظم تجبير الكسور) إذا كان مربوطاً على عرقوب الحصان فمعنى هذا أن الحصان أغلى في الهند من الحصان الذي بدون هذا العظم، ويرى الباحث أن هذه الإشاعة تم الترويج لها من أحد الجمبازية ولا صحة لها^(٦٠). وربما يرتبط اسم جمبازي بعدم النزاهة في المتاجرة بالخيول لان الجمبازية لم يكونوا يركزون في عملهم عند اختيار الخيول للسوق الهندي على الأصل أو الجودة، بل يلجئون إلى الكثير من الحيل من أجل بيع خيولهم على أنها خيولٌ أصيلة^(٦١).

الخاتمة:

نشطت في القرن التاسع عشر حركة تربية الخيول العربية الأصيلة في الموصل وتوابعها الإدارية، لاسيما بعد أن اشتد الطلب على تلك الخيول في مستعمرة الهند البريطانية، ونتيجةً للأرباح العالية التي كانت تحققها هذه التجارة نشط تجار الموصل واخذوا يجوبون أنحاء العراق آنذاك بحثاً عن الخيول العربية الأصيلة لشراؤها ومن ثم شحنها براً إلى بغداد ثم إلى البصرة وبعدها

م. عامر بلو اسماعيل

تشحن بحراً إلى الهند. وعلى الرغم من ندرة المصادر التاريخية التي تتناول هذا الموضوع ومحاولة الباحث جاهداً جمع ما يمكن جمعه من إشارات تاريخية مبعثرة في ثنايا الكتب التي تُقضى إلى إكمال الصورة عن تجارة الخيول في الموصل في القرن التاسع عشر، إلا انه اصطدم بعقبة قلة المصادر والإحصائيات التي تتعلق بالموضوع قيد البحث، وغياب التوثيق التاريخي لتجارة الخيول في الموصل في تلك الفترة. ومن النتائج التي توصل إليها البحث ما يأتي:

- ١- لم تكن تجارة الخيول في الموصل مزدهرة طيلة القرن التاسع عشر بل في فترات متقطعة، إذ كانت تعترضها بعض المشاكل منها الأمراض التي تصيب الخيول في الهند والقيود التي كانت تفرضها الدولة العثمانية على تصدير الخيول ومنافسة التجار الفرس للتاجر الموصلية في عمله.
- ٢- كانت الهند لاسيما بومباي الجهة الرئيسة للخيول الموصلية لأنها مستعمرة بريطانية آنذاك وتحتاج إلى خيول لسد حاجة سلاح الفرسان في الجيش البريطاني هناك، ومع تقدم الزمن وتطور الجيوش فقد سلاح الفرسان أهميته وقلّ الطلب على الخيول الموصلية.
- ٣- ظهور ظاهرة الجمبازية في تجارة الخيول المبنية على الغش والخداع مما قلل ثقة المستوردين بالخيول التي يشترونها مما قلل الطلب على الخيول .

الهوامش :-

- (1) Cengiz Eroğlu, Murat Babuçoğlu, Orhan ÖzdiL, Mosul in the Ottoman Vilayet Salnames, Translated By Ümit İldan, (Ankara, 2012), p. 131.
- (2) Spencer Borden , The Arab Horse, Doubleday, Page & Company,(New York,1906), p. 3.
- (3) Eroğlu,op. cit., p. 131; Charles M. Doughty, Travels in Arabia Desert, Vol.1, Cambridge University press,(New York, 2010), p. 343.
- (4) Harman Stock Farm, The Pure Arabians and Americo-Arabs, (Ohio,1908), p. 69.
- (5) W. Tweedie, The Arabian Horse His Country And People, William Blackwood And Sons,(Edinburgh and London,1894), p. 125.
- (6) FARM, op. cit., p. 69.
- (7) Tweedie, op. cit., p. 125.
- (8) Ibid., p. 125.
- (٩) ج.ج. لوريمر، دليل الخليج القسم التاريخي، ج٦، مطابع علي بن علي، (الدوحة، د.ت.)، ص ٣٣٣٦.
- (١٠) سعيد الديوه جي، تاريخ الموصل، ج٢، دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل، ٢٠٠١)، ص ١٥٦.

تجارة الخيول في الموصل في القرن التاسع عشر

- (١١) سارة شيلدز، الموصل قبل الحكم الوطني في العراق خلية نحل تصنع بيوتاً مُخمسة الأضلاع، ترجمة باحثة الجومرد، الطبعة الأولى، دار العابد للطباعة والنشر، (الموصل، ٢٠٠٨)، ص ٩٥.
- (12) E. A. Wallis Budge, *By Nile And Tigris*, Vol. II, (London, 1920), p. 56.
- (١٣) شيلدز، المصدر السابق، ص ٩٥.
- (١٤) قامت الرحالة إم. إي. هيوم- كريفث برحلة للشرق بصحبة زوجها استمرت للمدة (١٩٠٠-١٩٠٨)، أمضت منها مدة ثلاث سنوات في بلاد فارس (إيران حالياً) خلال المدة (١٩٠٠-١٩٣) والباقي قضتها في ولاية الموصل خلال المدة (١٩٠٤-١٩٠٨) للمزيد من التفاصيل عن الرحلة ينظر:
- M. E. Hume-Griffith, *Behind the Veil in Persia And Turkish Arabia an Account of an Englishwoman's Eight Years Residence Among the Women of the East*, J. B. Lippincott Company, (London, 1909), p. 310.
- (15) Hume-Griffith, op. cit., 194.
- (١٦) غسان وليد مصطفى الجوادى، أحوال الموصل الاقتصادية ١٨٣٤-١٩١٨م دراسة تاريخية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة الموصل، كلية التربية، ٢٠٠٦، ص ٧٩.
- (17) Tweedie, op. cit, p. 115.
- (18) Grattan Geary, *Through Asiatic Turkey*, Vol. I., (London, 1878), pp. 242-243.
- (١٩) نمر طه ياسين، بدايات التحديث في العراق ١٨٦٩-١٩١٤م رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية، الجامعة المستنصرية، ١٩٨٤، ص ١٤١. ثم ظهرت أسر أخرى فيما بعد اهتمت بالخيول مثل آل حافظ، وبيت توحلة، وبيت البودش، والراوجي، وبيت النجيفي وغيرهم، إلا أن صعوبة توفير علف لخيولهم وغلاء الأعلاف أدى إلى ترك المهنة وبقي عبد العزيز النجيفي هو الوحيد في الموصل الذي يحتفظ بإعداد كبيرة من الخيول الأصيلة والمُهجنة ساعده في ذلك مرور مشروع الزاب من قريته (جديدة حلا) فاستطاع توفير الحبوب والنباتات التي تدخل في علف الخيول للتفاصيل يُنظر: محمد توفيق الفخري، "المهن والحرف المنقرضة أو الآيلة للانقراض في الموصل، مجلة إضاءات موصلية، العدد (٥٩)، لسنة، ٢٠١٢، ص ٢.
- (٢٠) عماد غانم الربيعي، بيوتات موصلية، دون دار نشر، (الموصل، ٢٠٠٢)، ص ٢٠٢.
- (٢١) سليمان فيضي، مذكرات سليمان فيضي، تحقيق باسل سليمان فيضي، ط ٣، دار الساقى، (بيروت، ١٩٨٨)، ص ١٧٠.
- (٢٢) إبراهيم خليل العلاف، "تجارة الخيول في الموصل"، مدونة الدكتور إبراهيم العلاف على الرابط: http://www.allafblogspotcom.blogspot.com/2017/11/blog-post_94.html
- (23) David Fraser, *The Short Cut to India*, (Edinburgh, and London, 1909), pp. 218-220.
- (24) J. S. Buckingham, *Travels in Mesopotamia*, Vol. 11., (London, 1827), p. 69.
- (25) Eroğlu, op. cit., p. 343.

(٢٦) الجوادي، المصدر السابق، ص ٧٩ .

(٢٧) الباون: أصل الكلمة هو الباوند (pound) عملة بريطانية وتبسيط لمصطلح الجنيه الإسترليني (pound sterling) ويرمز له بالرمز (£) ويستخدم في كثير من دول العالم بمسميات مختلفة كالجنيه المصري مثلاً. للمزيد من التفاصيل ينظر:

“Pound sterling”, Wikipedia the free encyclopedia, on the url:
https://en.wikipedia.org/wiki/Pound_sterling

(28) Geary, op. cit., pp.242-243.

(29) William Frances Ainsworth, A Personal Narrative of the Euphrates Expedition, Vol. 11, (London, 1888), p.110.

(٣٠) كرسثيان انطوني رسام (Christian Anthony Rassam): وهو مسيحي نسطوري من الموصل، وقد هاجر جده الذي ولد سنة ١٨٠٨ إلى الموصل من سواحل مليبار، وكان والده أنطوني رسام قس كلداني، أو عالم ديني من الكنيسة البروتستانتية، ووالدته تيريزا (Theresa)، وأخوه لآثاري الشهير هرمزد رسام (Hormuzd Rassam)، وأخته مَعْنِيَة أوبرا تيريزا رسام (Theresa Rassam)، وكان كرسثيان أكبر أبناء انطوني، وعندما أصبح يافعاً صاحب قافلة تجارية من الموصل إلى قلب الجزيرة العربية، ثم هاجر إلى أوروبا وبعد فترة عين مترجماً (للخطوط العربية) في كلية مالطة، وبعد عدة سنوات في تلك المهنة الأدبية التحق بالحملة الفرات كمترجم تحت قيادة الكولونيل جيسني (Col. Chesney)، و سافر عدة مرات إلى كردستان العراق نيابة عن (الجمعية الجغرافية الملكية) وجمعية ترقية المعرفة المسيحية، وكمكافئة لخدماته في مجال الآثار، ولحماسه الشديدة، وذكائه الخارق أثناء تلك الرحلات أثرها البالغ في تعيينه نائب قنصل الموصل منذ سنة ١٨٣٧، مات في سنة ١٨٧٢.

للمزيد من التفاصيل ينظر:

General Francis Rawdon Chesney, Narrative of the Euphrates Expedition Carried on by Order of the British Government during the Years 1835, 1830, and 1837, Longmans, Green, and CO.(London, 1868), p. 555.

“National Portrait Gallery”

<https://www.npg.org.uk/collections/search/person/mp03712/christian-anthony-rassam>

K. E. Eduljee” Zoroastrian Heritage”

<http://zoroastrianheritage.blogspot.com/2013/03/cyrus-cylinder-its-discoverer-;HormuzdRassam>”, NNDB, [hormuzd.html](http://www.nndb.com/people/483/000202874)

<http://www.nndb.com/people/483/000202874>.

(31) Ida Pfeiffer, A Woman's Journey Round the World, (London, 1850), p. 270.

(32) A. Locher, With Star and Crescent , Aetna Publishing Company, Philadelphia, 1889), p. 17.

(33) Ibid., p. 412.

تجارة الخيول في الموصل في القرن التاسع عشر

(34) Hume-Griffith, op. cit., p. 23.

(35) Fraser, op. cit., p. 218.

(٣٦) شركة لنج (Lynch Company) : شركة بريطانية للملاحة النهرية كما كانت تعرف بشركة الملاحة، أسسها هنري بلوس لينج (Henry Bloss Lynch) الذي خلف جيسني (Chesney) في قيادة الحملة الفرات. فقام لينج بأجراء مسح شامل لنهر دجلة خلال الفترة (١٨٣٧-١٨٣٩)، بالتعاون مع أخيه توماس كير لنج (Thomas Kerr Lynch) وأعضاء آخرين من العائلة، وأسس بيت تجاري في بغداد سنة ١٨٤٠، بموجب فرمان سابق من الباب العالي العثماني صادر سنة ١٨٣٤، وبعد فترة وجيزة عندما أعلنت حكومة الهند نيتها سحب سفنها النهرية من بلاد ما بين النهرين، اقترحت عائلة لنج شراء تلك السفن وتشكيل شركة خاصة للنقل النهري في العراق، فقبلت حكومة الهند المقترح، وبدأ نشاط الشركة بتشغيل سفينتين، وفي سنة ١٨٦١، أجازت السلطات البريطانية تشكيل شركة باسم "شركة الملاحة النهرية في الفرات ودجلة (Euphrates and Tigris Steam Navigation Company)، فاستبدلت الشركة السفن القديمة بسفينتين جديدتين جلبتا من لندن عبر قناة السويس المفتوحة حديثاً آنذاك. وخلال العقود الثلاثة التالية التي سبقت الحرب العالمية الأولى، كان نشاط الشركة ذو أهمية بالغة، مع مواجهة الشركة لمنافسة محلية قوية. وعندما حاولت الحكومة المحلية ببغداد تقييد نشاط الشركة سنة ١٨٨٣ احتجت الحكومة البريطانية احتجاجاً عنيفاً مما أدى إلى إحباط المحاولة، للمزيد من التفاصيل ينظر:

Zaki Saleh, Britain and Mesopotamia :Iraq to 1914 a Study in British Foreign Affairs,al-Ma'arif Press, (Baghdad,1966),p.181-185;

قاسم محمد داود،"صفحات من تاريخ العراق: شركة لنجو أخوانه للملاحة البحرية في العراق(بيت لنج)"،

مجلة الكاردينيا الإلكترونية على الرابط:

<https://www.algardenia.com/maqalat/30283-2017-06-02-17-42-52.html>

(37) Fraser, op. cit., p. 218.

(38)Gábor Ágoston and Bruce Masters, Encyclopedia of the Ottoman Empire, Facts On File, Inc., (New York,2009), p. 79.

(39)William Heude, A Voyage up the Persian Gulf, and a Journey Overland from India to England in 1817, Strahan and Spottuwoode, (London,1819), p. 134.

(٤٠) ياسين، المصدر السابق، ص ١٤١.

(41)Heude, op. cit., P.134.

كذلك ينظر:خليل علي مراد،" تجارة الموصل"، موسوعة الموصل الحضارية،المجلد الرابع، دار الكتب

للطباعة والنشر، (جامعة الموصل،١٩٩٢)، ص ٢٧٥.

(42) Fraser, op. cit., p. 218.

(43) Heude, op. cit., P. 9.

(44) Pierre Ponafidine, Life in Moslem East, Translated from the Russian by Emma Cochran Ponafidine , Dodd, Mead And Company, (New York , 1911), p. 164.

(45) Ibid., p. 165.

م. عامر بلو اسماعيل

- (٤٦) لوريمر، المصدر السابق، ص ٣٣٤٠ .
- (47) E. A. Wallis Budge, By Nile And Tigris, Vol. I,(London,1920), p. 166.
- (48) Charles Issawi, The Fertile Crescent 1800-1914 A documentary Economic History, Oxford University Press, (NewYork,1988), p. 122.
- (٤٩) ياسين، المصدر السابق، ص ١٤١ .
- (٥٠) لوريمر، المصدر السابق، ص ٣٣٣٩ .
- (٥١) ياسين، المصدر السابق، ص ١٤١ .
- (٥٢) الزوراء، السنة السادسة عشرة، العدد ١٢٢١ في ١٣٠٣ هـ نقلاً عن الجوادي، المصدر السابق، ص ٨٠ .
- (53) Budge, op. cit., Vol. I, p. 166.
- (54)Ibid., p.167.
- (٥٥) الجوادي، المصدر السابق، ص ٨٠ .
- (56) Geary, op. cit., pp. 242-243.
- (٥٧) الجمبازية كلمة عامية متداولة لكن أصلها غير معروف على وجه الدقة، والرجل الجمبازي في الكويت تعني الشخص المراوغ والحيال (من الحيلة) والكذاب، وفي البحرين فهي تطلق على الشخص المكار الذي يتصف بالكذب واكل أموال الناس بالباطل وينقلب على بطنه وظهره. ولا يجد الباحث معنى للجمبازي في العراق يختلف عن المعنى المنتشر في الخليج. للتفاصيل ينظر: "الجمبازي والاونطجي"، جريدة الأنباء الكويتية، العدد (١٥٣٨٢)، في ٢٤ تشرين الثاني ٢٠١٨ .
- (٥٨) لوريمر، المصدر السابق، ص ٣٣٣٩ .
- (59) Tweedie, op. cit., p. 313.
- (60) Ibid., p. 177.
- (61) Ponafidine, op. cit., p. 164.

